

الإمام البخاري

إِلَى مَنْ يَجْهَلُهُ وَيَطْعُنُ فِي صَحِيحِهِ

بِقَلَمِ

أَبِي عَمْرٍو أَحْمَدَ بْنَ عَمْرٍو عَمْرٍو الْوَكِيلِ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ زُلُمَ الدَّيَّةِ وَلَسَانَهُ وَطَمَعَ السَّامِعِينَ

وَأُصْلَحَ الدِّينَ

لِلنِّسَاءِ وَالنُّزَعِ

حقوق الطبعة محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م

رقم الإيداع

٥٥٩٤ / ٢٠١٥ م

الترقيم الدولي I.S.B.N

978-977-5179-22-7

دَارُ صَلَاحِ الدِّينِ
للنشر والتوزيع

مصر - كفر الشيخ - عمارة الشرق للتأمين

ت: ٠٤٧/٣٢٣٦٢٦٨ - ٠٢/٢٥٩٠٠٢٣٠

محمول: ٠١٢٢٣٢٤٥١٣٠

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام
على رسول الله سيدنا محمد صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.
فهذه إطلالةٌ سريعةٌ عن الإمام محمد
ابن إسماعيل البخاري **رَحِمَهُ اللهُ** وصحيحه
تكشف لنا عن أخلاقه وصفاته
ومعاملاته، وشيءٌ من حياته، وكلام أهل
العلم فيه وشهادتهم له بالتميز والإتقان.
كتبناها في عَجالةٍ للرد على ناسٍ
وجماعةٍ من جلدتنا يتكلمون بالسِّتِنا،

٤ ————— الإمام البخاري

لا يهتدون بهدي نبينا ﷺ، ولا يستنون بسنته ﷺ؛ وقد كثر ضحيجهم جدًا في الأيام القريبة الماضية، وعَلَّتْ أبواقهم ينالون من علمائنا، وينحرون في ثوابت شرعنا الحنيف. وَمَنْ لا يعرف مَنْ هو الإمام البخاريُّ مِنَ الْمُثَقِّفِينَ والشَّبَابِ، قد تُصِيبُهُ شِرَاكُهُمْ.

وكانت نُشِرَتْ على فقرات في وسائل التواصل الاجتماعيِّ، ما يُسمَّى منها بالـ «Facebook» وقد لاقت بفضل الله تعالى ومَنِّه استحسانَ جماعةٍ مِنَ الشَّبَابِ الواعي الفاهم والمتحمس

لنُصرة دين الله. كما أنها نُشرت في قرابة ستة مقالات في مجلة الفرقان الكويتية، وما أن اطلع عليها بعضُ أصحابنا^(١) حتى طلب منّا أن يقومَ على طبعها على نفقته الخاصة في كُتَيْب صغير، ويوزع على عامّة المسلمين والشباب خاصة، لتكون لهم ذُخْرًا ونبراسًا يضيء لهم طريقهم، ومادةً وفيرةً في التعريف بالإمام البخاري. وسمَّيْتُها: «محمد بن إسماعيل البخاري، إلى من يجهله وَيَطْعَنُ في صَحِيحِهِ».

(١) وهو الشيخ أبو عبدالله مجدي زهران حفظه الله وبارك فيه.

٦ الإمام البخاري

والله تعالى من وراء القصد، هو حسبنا
ونعم الوكيل.

وكتبه: أبو عمرو أحمد بن عطية
الوكيل.

غفر الله له ولوالديه ولمشايقه ولعامة
المسلمين.

في عصر يوم الجمعة السابع عشر من
شهر ربيع آخر من سنة ١٤٣٦ هجرية،
الموافق للسادس من الشهر الثاني من
سنة ٢٠١٥ ميلادية.

هاتف: ٠٠٢٠١٠١١١٢٧٥١٠

elwakilaa58@yahoo.com

الإمام محمد بن إسماعيل البخاري إلى من يجهله ويَطْعَنُ في صحيحه

نشأته

(١) نشأ محمد بن إسماعيل البخاريُّ
يتيمًا، فقد تُوفِّي أبوه وهو صغيرٌ فتعهدته
أمُّه وأخاه الأكبر أحمد، فلما ذهبت بهما
إلى مكة لأداء مناسك الحج، قَفَلَتْ
راجعةً مع ابنها الأكبر أحمد، وبقي محمدٌ
بمكة يطلب العلم، ويسمع الحديث من
شيوخ مكة؛ وكان ذلك سنة عشر ومائتين
هجريّة، وهو ابنُ ستّة عشرَ ربيعًا.

(٢) أَحَبَّ الْبُخَارِيُّ الْحَدِيثَ فَاتَّجَهَ إِلَى سَمَاعِهِ فِي بَاكُورَةِ حَيَاتِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: أَلْهَمْتُ - أَوْ رَزَقْتُ - حُبَّ الْحَدِيثِ وَأَنَا فِي الْكِتَابِ.

(٣) كَانَ الْبُخَارِيُّ يُخْتَلَفُ إِلَى مَشَايخِ الْبَصْرَةِ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ، وَكَانَ لَا يَكْتُبُ، حَتَّى أَتَى عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٍ، فَلَامَهُ بَعْضُ الْمَشَايخِ، لِمَاذَا لَا تَكْتُبُ يَا غُلَامُ! وَمَا زَالُوا يَنْهَرُونَهُ، وَهُوَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ.

وَبَعْدَ سِتَّةِ عَشَرَ يَوْمًا، قَالَ الْبُخَارِيُّ لَهُمْ: قَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَيَّ، اعْرِضُوا عَلَيَّ مَا كُتِبْتُمْ؟

فأخرجوا ما كتبوه، فوجدوه زاد على
خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ؛ فقرأها البخاريُّ
كلها عن ظهر قلب، حتى جعل المشايخ
الكبار يحكمون ويصححون ما كتبوه من
حفظ البخاريِّ وهو غلامٌ حدث.

سماعه شيوخ بلده أولاً

(٤) سمع البخاريُّ الحديثَ على
شيوخ بلده أولاً؛ ثم رحل يطلب
العلم في بلاد العالم الإسلامي؛ وكان
يقول: أخذت الحديث عن أكثر
من ألف شيخ، وليس عندي حديث
إلا أذكر إسناده.

١٠ ————— الإمام البخاري

(٥) روى الخطيبُ البغداديُّ في تاريخه، قال: رحل البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ إلى مُحَدَّثِي الأمصار، وكتب بخراسان والجبّال ومدن العراق كلها، وبالْحِجَاز والشام ومصر وورد بغداد دفعات.

(٦) قال الحافظ في هدي الساري: قال البخاريُّ: دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحِجَاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين.

قلتُ - أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين - :
قوله (الجزيرة) معناه بلاد ما بين دجلة
والفرات بالعراق، وليس معناه (جزيرة
العرب) كما هو مُتبادر.

والد البخاري

(٧) كان أبو الحسن إسماعيل بن
إبراهيم والد البخاريّ - رحمهما الله
تعالى - من العلّماء ومن أهل الورع
والزهد. وقد رأى حماد بن زيد وصافح
عبد الله بن المبارك، وسمع مالك بن أنس،
وحدث عن أبي معاوية وجماعة. حدث

عنه أحمد بن حفص، قال: دخلت على إسماعيل بن إبراهيم عند موته، فقال: لا أعلم في جميع مالي درهمًا من شبهة^(١). قلتُ - أبو عمرو وأحمد بن عطية الوكيل: هكذا ترك والد البخاري له ثروة طيبة حلالًا؛ مكنته من الرحلة إلى الآفاق لتحصيل علم الحديث، حتى نيف عدد شيوخه على ألف رجل؛ وأفنى عُمره في تعليم الناس حديث رسول الله ﷺ، وقد سمع منه الحديث عشرات الألوف من الناس^(٢).

(١) راجع «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/٢١٣).

(٢) راجع للمزيد: «فقه الإمام البخاري» للدكتور أبي فارس محمد بن عبد القادر.

إنشغال البخاري بالعلم مع حرصه على العبادة والطاعة

(٨) شُغل البخاريُّ بالعلم فكان لا يهجع إلا قليلاً.. قال محمد بنُ أبي حاتم الورَّاق: كان البخاريُّ إذا كنتُ معه في سفر، يجمعنا بيتٌ واحدٌ، إلا في القيظ أحياناً، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القَدَّاحَةَ، فيُوري ناراً ويُسرج، ثم يخرج أحاديث، فيعلم عليها، ثم يضع رأسه، وكان يصلي وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا

يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك
تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني؟!
قال: أنت شاب، ولا أحب أن أفسد عليك
نومك. انتهى^(١).

قلت: هكذا كان حال البخاري مع ربه
يحرص على ثلاث عشر ركعة كل ليلة
وقت السَّحَر. وهكذا كان حاله مع وَرَّاقِهِ
الشفقة والرحمة به. وهكذا كان شغوفاً
بالعلم حتى وهو في مضجعه يقوم مراراً
يقيد ما يجول بخاطرهِ رَحْمَةُ اللَّهِ.

(١) راجع له «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٢٠).

شجاع البلخي^(١).

(١١) كان البخاري آية من آيات الله

في حفظ الحديث. وكان **رَحِمَهُ اللهُ** لا يكتب

ما حفظه من الحديث في مجلس السماع

ولا حتى عندما يرجع إلى بيته.

انظر ماذا يقول هو عن نفسه: (رُبَّ

حديث سمعته بالبصرة كتبه بالشَّام،

ورُبَّ حديث سمعته بالشَّام كتبه بمصر)

فقال له أحمد بن أبي جعفر والي

بخارى حين سمع قوله هذا: يا أبا عبدالله

(١) راجع «ت بغداد» (٢/ ٢١).

تكتبه بكماله؟ فسكت - يعني أنه يكتبه
بتمامه.

قلتُ: فهذه القدرة العجيبة على
الحفظ لم تتفق لأحدٍ غيره من الحفاظ
الذين عاصروه. والله أعلم.

(١٢) قال الذهبي^(١): قال محمد
ابن خميرويه: سمعت البخاري يقول:
(أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ
مائتي ألف حديث غير صحيح^(٢)).

(١) «تذكرة الحفاظ» (٢/٥٥٦).

(٢) وانظر «هدي الساري» (ص ٤٨٨).

تصنيفه للصحيح

(١٣) روى القاضي أبو الحسين ابنُ الفراء^(١) بسنده إلى حاشد بن إسماعيل، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري، يقول: (صنَّفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة؛ وخرجته من ستمائة ألف حديث؛ وجعلته حجة بيني وبين الله).

(١٤) قال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعت البخاري يقول وسئل عن حديث:

(١) في كتابه «طبقات الحنابلة» (٢١ / ٢٧٦).

(يا أبا فلان، تراني أدلّسُ؟! تركت
أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر؛
وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لي فيه
نظر) (١).

قلتُ: أولاً البخاري يحفظ حديث
الراوي المتكلم فيه كله؛ حتى يعرفه،
ويتقيه في روايته، ويميزه عن الصحيح،
وينبه على ضعفه حين يرويه غيره. يعني
الحديث عنده ولا يرويه لما ذكرت. مثلاً
عنده حديث ابن لهيعة ولا يرويه.

ثانياً: البخاري له منهجه الخاص في

إطلاق كلمات التجريح في الرواة المتكلم فيهم؛ فإن قال في الراوي مثلاً (فيه نظر) فمعناه جرح شديد له، كما تقدم هنا ترك حديثه كله وتجنب روايته.

وقد التزم ذلك المنهج مع آلاف الرواة الذين تكلم فيهم، حتى قال عن نفسه: وددت أني ألقى الله تعالى، ولم يسألني أني اغتبتُ أحداً.

الدين قول وعمل

(١٥) قال البخاري: (لقيت أكثر من

ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان، فما رأيت

حتى يحدث عَمَّن فوقه، وَعَمَّن هو مثله،
وَعَمَّن هو دونه).

إذن فالمشيخةُ لا تقاسُ بالأعمار؛ لكن
بالعدالةِ ويدخلُ فيها صِحَّةُ المُعتقد،
والضبط ويدخل فيه صِحَّةُ الرواية؛
ولتكن سنُّ الشيخ بعد ذلك ما تكون.

أَيُّ شَيْءٍ كَانَ يَتَمَنَّى الْبُخَارِيُّ

(١٧) قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: (لو قيل

لي: تَمَنَّ. لَمَّا قُمْتُ حَتَّى أُرَوِّي عَشْرَةَ
آلَافٍ حَدِيثٍ فِي الصَّلَاةِ خَاصَّةً).

قلتُ: هَكَذَا كَانَ حَفْظُهُ فِي بَابٍ وَاحِدٍ

مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ.

وقال وراقه محمد بن أبي حاتم: سمعته يقول: (ما نمت البارحة حتى عدت كم أدخلت في تصانيفي من الحديث، فإذا هو نحو مائتي ألف حديث). قلتُ: هكذا كان نومه وهمه وانشغاله.

محفوظات البخاري

(١٨) قال البخاري: قال لنا رجل: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: (كأنني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي). فقلت له: (أو تعجب من هذا القول؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه).

فقال الراوي عن البخاري: وإنما عنى نفسه.

قلتُ: انظر كيف كان علماء الحديث -عليهم رحمة الله- متمكنين من حفظهم؛ على أن ما حفظوه دونوه أيضا في كتبهم.

أي حديث لا يعرفه البخاري فليس بحديث

(١٩) حدث البخاري عن نفسه، فقال: (ذاكرني أصحاب عمرو بن عليّ الفلاس بحديث، فقلت: لا أعرفه. فسُروا بذلك، وصاروا إلى عمرو بن عليّ، فقالوا له:

ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه، فقال عمرو بن علي: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل فليس بحديث).

قلت: هكذا شهد للبخاري شيوخه بتمام المعرفة في الحديث.

شيوخ البخاري يرجعون إلى رآيه في الحديث

(٢٠) يقول حاشد بن إسماعيل:
(رأيت إسحاق بن راهويه جالسًا على المنبر - يعني منبر التحديث -، والبخاري جالسٌ معه، وإسحاق يحدث، فمر

بحديث، فأنكره محمد يعني البخاريّ-،
فرجع إسحاق إلى قوله، وقال: يا معشر
أصحاب الحديث، انظروا إلى هذا
الشاب، واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمان
الحسن بن أبي الحسن البصريّ لاحتاج
إليه، لمعرفته بالحديث وفقهه).

قلتُ: وإسحاق بنُ راهويه أحد أئمة
المسلمين ومن شيوخ البخاريّ.

حُبُّ البخاريّ للدارميّ وشهادة

الدارميّ له بالفقه والتفسير

(٢١) سُئِلَ الدارميّ عن حديث،

وقيل له: إن البخاريّ صححه، فقال:

(محمد بن إسماعيل أبصر مِنِّي، وهو أَكْبَسُ خَلْقِ اللَّهِ، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه: من كتابه وعلى لسان نبيه. إذا قرأ البخاري القرآن: شغل قلبه وسمعه وبصره، وتفكر في أمثاله، وعرف حلاله من حرامه).

قلتُ: الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ من شيوخ البخاري. وقد مات قبله. ولما جاء نعي الدارمي للبخاري، وهو في المسجد؛ بكى وأنشد:

إِنْ عِشْتَ تَفْجَعْ بِالْأَحِبَّةِ كُلَّهُمْ
وَفَنَاءُ نَفْسِكَ لَا أَبَا لَكَ أَفْجَعْ

شيوخ البخاري يهابونه ويطلبون منه تصحيح كتبهم

(٢٢) قال فتح بن نوح النيسابوري:
(أتيت علي بن المديني، فرأيت محمد
ابن إسماعيل جالساً عن يمينه؛ وكان إذا
حدث التفت إليه مهابة له).

قلت: علي بن المديني شيخه. فمن
شدة وثوقهم في حفظ البخاري. فكان
مشايعه يهابونه.

(٢٣) شيوخ البخاري يطلبون منه
النظر في كتبهم وتصحيح ما فيها من خطأ
في الأحاديث.

يقول موسى بن قُرَيْش: قال عبدالله بن يوسف للبخاري: (يا أبا عبدالله انظر في كتبي، وأخبرني بما فيها من السقط، فقال: نعم - يعني أنه أجابه إلى ما طلبه -).

قلت: وعبدالله بن يوسف هو التَّيْسِيُّ أصله من دمشق ونزل تَيْسٍ بصعيد مصر وهو أحد شيوخ البخاري الذين يروي من طريقهم أحاديث مالك في «الموطأ».

(٢٤) يقول البخاري: (قال لي ابنُ

أبي أويس: انظر في كتبي، وجميع ما أملك؛ وأنا شاكر لك أبدًا ما دُمْتُ حَيًّا).

وقال محمد بن أبي حاتم وراقُ

البخاري: سمعته يقول: (كان إسماعيل ابن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه، نسخ تلك الأحاديث - التي انتقيتها -، وقال: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي).

قلت: إسماعيل بن أبي أويس شيخ البخاري، روى عنه عن الليث، وعنه عن مالك؛ وهكذا يفتخر شيوخ البخاري بأنه انتقى من كتبهم أحاديث؛ وذلك لثقتهم العالية في تمام معرفته وحفظه للحديث.

(٢٥) شيوخ البخاري يسألونه عن أخطاء الرواة.

الحديث كطلب غيره من المُحَدِّثِينَ، فهو يستوثق لرواية الحديث بالتأكد من بطاقة هَوِيَّة الشيخ، ومعرفة أحواله، والتثبت من صحة نقله، وفهمه لما يروي وإلا اطلع بنفسه على كتاب شيخه..

قدرة البخاري على الحفظ

(٢٧) قال أبو بكر الكلواذاني: (مارأيتُ مثل محمد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلم، فيطلع عليه اطلاعة، فيحفظ أطراف حديثه من مَرَّة واحدة).
قلتُ: هكذا بلغ من قدرة البخاري الفائقة على الحفظ اللحظي - يعني من

أول لحظة-؛ وما أظن ذلك إلا لصفاء ذهنه، وعدم انشغال باله، وفراغ قلبه من أمور الدنيا، وشدة تَعَلُّقِهِ وشوقه وحبّه للحديث؛ وعلو هِمَّتِهِ، وانعقاد عزمه لتلقي الحديث وتبليغه إلينا صافيًا رائقًا. ويدلُّ عليه قول الحُسَيْن بن حُرَيْث: (لا أعلم أني رأيت مثل محمد بن إسماعيل، وكأنه لم يخلق إلا للحديث!!).

(٢٨) لما كانت قدرة البخاريّ على الحفظ تُبهر الناس وتدهشهم فتوهّموا أنه يشرب علاجًا خاصًا لتمكينه من الحفظ بهذه الظاهرة الفدّة.

قال محمد بن أبي حاتم وَرَّاق البخاري: (بلغني أَنَّ البخاريَّ يشرب البلاذر لأجل الحفظ. فقلت له مرَّةً في خُلُوةٍ: هل مِن دواءٍ للحفظ؟ فقال: لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر).

البخاري وهو شاب

(٢٩) انظر كيف كان البخاريُّ - وهو

شاب - عند أهل زمانه؟!!

حكى يوسف بن موسى المروزيُّ،

فقال: كنت بالبصرة في جامعها، إذ

سمعت منادياً ينادي: يا أهل العلم لقد

قدم محمد بن إسماعيل البخاري؛
فقاموا إليه، وكنت معهم، فرأيناه رجلاً
شاباً، ليس في لحيته بياض، فصلى خلف
الأسطوانة، فلما فرغ أصدقوا به، وسألوه
أن يعقد مجلس الإملاء، فأجاب بأنه
يجلس غداً في موضع كذا. فلما كان الغد
حضر: المُحدِّثون، والحُفَّاظ، والفُقهاءُ،
والنَّظَّارة، حتى اجتمع قريب من كذا
ألف نفس؛ فجلس أبو عبد الله -يعني
البخاري- للإملاء، فقال قبل أن يأخذ
في الإملاء: يا أهل البصرة أنا شاب،
وقد سألتُموني أن أحدثكم، وسأحدثكم

بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها
 - يعني يحدثهم بأحاديث بلدهم وليست
 عندهم فتكون فائدة لهم لم يكونوا
 يعرفونها من قبل - قال: فتعجب الناس
 من قوله، فأخذ في الإملاء، فقال: حدثنا
 عبدالله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد
 العتكي ببلدكم، قال: حدثني أبي، عن
 شعبة، عن منصور وغيره، عن سالم بن
 أبي الجعد، عن أنس بن مالك: أن أعرابياً
 جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله،
 الرجل يحبُّ القوم... الحديث. ثم قال:
 هذا ليس عندكم عن منصور؛ إنما هو

عندكم عن غير منصور.

قال يوسف بن موسى: فأملئ عليهم
مَجْلِسًا مِنْ هَذَا النَّسَقِ، يقول في كل
حديث: روى فلان هذا الحديث عنكم
كذا، فأما من رواية فلان - يعني التي
يسوقها - فليست عنكم. انتهى.

حفاوة واحتفال الناس بالبخاري

(۳۰) كان البخاري رَحِمَهُ اللهُ يَذْكُرُ كَيْفَ

كان استقبال البصريين له..

قال حمّادويه بن الخطّاب: (لما قدم البخاري قَدَمَتُهُ الأخيرة من العراق، وتلقّاه من تلقّاه من الناس، وازدحموا

عليه، وبالغوا في برّه؛ قيل له في ذلك، فقال: كيف رأيتم يوم دخولنا البصرة؟). قلتُ: يشير للقصة التي حكاها يوسف ابنُ موسى وتقدمت برقم (٢٩).

(٣١) انظر كيف كان حجم وشكل استقبال البخاري في مدينة نيسابور؟! قال محمد بن يعقوب الأخرم - سميُّ محمد بن يعقوب الأصم وكلاهما من شيوخ الحاكم أبي عبدالله -: (سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري نيسابور، استقبله أربعة آلاف رجل على الخيل، سوى من ركب بغلاً أو حماراً،

وسوى الرّجالة).

قلتُ: زمان كان الناس يعرفون قدر العلم وأهله. فيا حسرة على ما نراه في زماننا، يُهان فيه العلماء هكذا!!

(٣٢) قال مسلم بن الحجاج -صاحب الصحيح-: (لما قدم محمد ابنُ إسماعيل البخاريُّ نيسابور، ما رأيت والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا بالبخاريِّ؛ استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث).

قلتُ: كانوا يعرفون للعلماء قدرهم فكيف بإمامهم البخاريِّ.

شهادة العلماء للبخاري بالفقه

(٣٣) روى الخطيب البغدادي^(١)

بسنده إلى حاشد بن إسماعيل، قال:

(كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن

إسماعيل، فلما قدم قال محمد بن سيار:

دخل اليوم سيّد الفقهاء)^(٢).

(٣٤) قال قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ -وهو من

شيوخ البخاري-: (جالست الفقهاء

والزُّهّاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل

(١) في «تاريخه» (١٦/٢).

(٢) راجع «هدي الساري» (ص ٤٨٦)؛ «تهذيب

الأسماء واللغات» (١/٦٨).

محمد بن إسماعيل ٤١

محمد بن إسماعيل؛ وهو في زمانه كعمر في الصحابة. وقال أيضا: لو كان محمد ابن إسماعيل في الصحابة لكان آية! (١).
(٣٥) أسند الخطيب البغدادي (٢)،
عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي، قال:
(محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة).
قلت: يعقوب الدورقي أحد شيوخ البخاري (٣).

(٣٦) روى الخطيب (٤) بسنده إلى

(١) راجع «مقدمة فتح الباري» (ص ٤٨٣).

(٢) في «تاريخه» (٢ / ٢٢).

(٣) وانظر «طبقات الشافعية الكبرى» (٢ / ٢٢٣).

(٤) في «تاريخه» (٢ / ٢٢).

موسى بن هارون الحَمَّال ببغداد: (لو أنَّ
أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل
محمد بن إسماعيل آخر ما قَدَرُوا عليه).
(٣٧) قال محمد بن بشار بن دار عن
البخاري: (هو أفقه خلق الله).

قلتُ: وبندار شيخه ^(١).

(٣٨) قال أحمد بن إسحاق
السُّرَمَارِيُّ: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى فُقَيْهِ
بِحَقِّهِ وَصَدَقَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ) ^(٢).

(١) ر: «هدي الساري» (ص ٤٨٣).

(٢) السابق (ص ٤٨٥).

(٣٩) قال عليّ بن حُجر: (أخرجت خراسان ثلاثة: فبدأ بالبخاريّ، وقال: هو أبصرهم وأعلمهم بالحديث وأفقههم. وقال: ولا أعلم أحدا مثله) ^(١).

شهادة الترمذيّ للبخاريّ

(٤٠) قال الترمذيّ: لم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان في معنى العِلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد ابن إسماعيل ^(٢).

(١) «هدي الساري» (ص ٤٨٥)؛ «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٦٩).

(٢) «ت بغداد» (٢/ ٢٧)؛ «ت الأسماء واللغات» =

شهادة العلماء للبخاري

بالفقه والإمامة

(٤١) قال الحافظ^(١): قال محمد

ابنُ أبي حاتم الورَّاق: سمعت يحيى
ابنَ جعفر البَيْكَنْدِيِّ، يقول: لو قدرت
أَنْ أَزِيدَ مِنْ عُمْرِي فِي عُمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ لَفَعَلْتُ، فَإِنَّ مَوْتِي يَكُونُ مَوْتَ
رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَمَوْتَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
فِيهِ ذَهَابُ الْعِلْمِ.

قال أيضًا: سمعته - يعني يحيى

= (١/ ٧٠)؛ «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٢٠).

(١) في «هدي الساري» (ص ٤٨٥).

ابن جعفر البيكنديّ - يقول له: لولا أنت
ما استطعت العيش ببخارى.

وقال عبدالله بن محمد المُسنديّ:
محمد بن إسماعيل إمامٌ، فمن لم يجعله
إمامًا فاتهمه.

وقال أيضًا - يعني المُسنديّ -: حُفَظُ
زماننا ثلاثة: وبدأ بالبخاريّ.

(٤٢) قال سُليم بن مُجاهد: (ما رأيت
منذ ستين سنة أحدًا أفقه ولا أورع من
محمد بن إسماعيل)^(١).

(١) ر: «هدي الساري» (ص ٤٨٦)؛ «طبقات الشافعية
الكبرى» (٢/ ٢٢٧).

(٤٣) قال حاشد بن إسماعيل: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل؛ فقال له رجل من جلسائه: جاوزت الحد، فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحداً في الحديث والفقه. قال الحافظ ^(١): عبر بقوله (لو نظرت إلى وجهه) عن التأمل في معارفه ^(٢).

(١) في «هدي الساري» (ص ٤٨٣).

(٢) وراجع: «ت بغداد» (١٩ / ٢).

(٤٤) ذكر السُّبُكِيُّ^(١)، أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ
أحمد بنُ حرب النيسابوريُّ، ركب
محمد بنُ إسماعيل البخاريُّ وإسحاق
ابنُ راهُوِيَه يُشَيِّعَان جنازته؛ فأخذ
أهل المعرفة بنيسابور ينظرون إليهما،
ويقولون: محمد بنُ إسماعيل البخاريُّ
أفقه من إسحاق بن راهُوِيَه.

قلتُ: وقد عَدَّهُ بعضُ من عاصره
فيما تقدم في الفقرة برقم (٤٣) أَنَّهُ أفقه
من شيخه أحمد بن حنبل. وإسحاق
ابن راهُوِيَه من شيوخ البخاري. فهكذا
رأيت أَنَّ البخاريَّ إِن لم يكن أفقه

(١) في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/٢٢٣).

مِنْ شَيْوْخِهِ فَهُوَ فِي مَصَافِّهِمْ عَلَى الْأَقْلِ
فِي الْفَقْهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١).

شهادة العلماء للبخاري بالتميز في الفقه

(٤٥) قال يوسف بن محمد الهمداني:
(سُئِلَ قُتَيْبَةُ عَنْ طَلَاقِ السَّكْرَانِ، فَدَخَلَ
حِينَئِذٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَ قُتَيْبَةُ
لِلسَّائِلِ: هَذَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقُ
ابْنُ رَاهَوِيَّةَ وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، قَدْ
سَاقَهُمُ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَأَشَارَ إِلَى الْبُخَارِيِّ؛
وَقَالَ اسْأَلْهُ).

(١) ر: «هدي الساري» (ص ٣٨٥).

قلتُ: قُتَيْبَةُ هُوَ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ طَرِيفٍ،
أَبُورِجَاءَ الْبَغْلَانِيِّ؛ مِنْ كِبَارِ الْحِفَازِ
وَأَحَدِ شُيُوخِ: الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَأَبِي
دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيَّ وَالنَّسَائِيَّ، دُونَ ابْنِ مَاجَةَ
فَقَدْ رَوَى عَنْهُ بِوَسْاطَةِ. وَهَكَذَا اعْتَبَرَ
قُتَيْبَةَ تَلْمِيزَهُ الْبَخَارِيَّ مُمِيزًا فِي الْفَقْهِ إِلَى
دَرَجَةٍ أَنَّهُ يَعْدِلُ ثَلَاثَةَ مِنْ الْفُحُولِ الَّذِينَ
سَمَّاهُمْ وَهُمْ مِنْ طَبَقَةِ مُشَايِخِ الْبَخَارِيِّ!
(٤٦) يُحَدِّثُ الْبَخَارِيُّ عَنْ نَفْسِهِ،
فَيَقُولُ: (كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُويَةَ،
فَسُئِلَ عَمَّنْ طَلَقَ نَاسِيًا، فَسَكَتَ طَوِيلًا،
مُفَكِّرًا؛ فَقُلْتُ أَنَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ
أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ، أَوْ تَكَلَّمَ»،
وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاثة: العمل
والقلب، أو الكلام والقلب؛ فقال إسحاق
ابن راهويه: قَوَّيْتَنِي قَوَّاكَ اللَّهُ. وأفْتَى بِهِ).

مَهَارَةُ الْبُخَارِيِّ فِي الرَّمْيِ

(٤٧) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ الْوَرَّاقُ:
كَانَ الْبُخَارِيُّ يُرَكِّبُ إِلَى الرَّمْيِ كَثِيرًا؛ فَمَا
أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُهُ فِي طَوْلِ مَا صَحَبْتُهُ أَخْطَأَ
سَهْمُهُ الْهَدَفَ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، بَلْ كَانَ يُصِيبُ
فِي كُلِّ ذَلِكَ وَلَا يَسْبِقُ ^(١).

(١) رَ: «هدي الساري» (ص ٤٨٠).

وَرَعُ الْبَخَارِيِّ

(٤٨) خرج البخاريُّ يوماً يتدربُ على الرِّمَايةِ، فرمى بسَهْمٍ مَرَّةً فأصاب سهمُهُ وَتَدَ قَنْطَرَةٍ على نَهْرٍ مَمْلُوكَةٍ لرجلٍ فشَقَّها؛ فلم يُتِمَّ تَدْرِيْبَهُ ونزل عن دَابَّتِهِ ونزع السَّهْمَ مِنَ الْوَتَدِ، وعاد لِتَوِّهِ مِنَ الرَّمِيِ مَهْمومًا مَغْمومًا، لأنه أَفْسَدَ ذَلِكَ الْوَتَدَ، وقال لورَّاقِهِ محمد بن أبي حاتم: يا أبا جعفر لي إليك حاجة وهو يتنفس الصَّعْدَاءُ، فقلتُ: ما هي؟ قال: تذهب إلى صاحبِ القَنْطَرَةِ، فتقول: إنا أَخْلَلْنَا

بالتد فنحبُّ أن تأذنَ لنا في إقامة وتدٍ
بدلَه، أو تأخذَ ثمنَه، وتجعلنا في حلٍّ ممَّا
كان مِنَّا؟

وكان صاحبُ القنطرة هو: حُميد بنُ
الأخضر، فقال لابن أبي حاتم الورَّاق:
أبلغ أبا عبد الله مِنِّي السلام، وقُلْ له: أنت
في حلٍّ ممَّا كان منك، فإن جميعَ مُلكي
لك فداء.

يقولُ ابنُ أبي حاتم: فلمَّا أبلغتُ
البخاريَّ بجواب الرجل، تهلَّلَ وجهُه،
وأظهرَ سُرورًا كثيرًا؛ وقرأ ذلك اليوم
للمحدثين الغُرباء خمسمائة حديث،

وتصدق بثلاثمائة درهم^(١).

(٤٩) قال محمد بن أبي حاتم الوراق:

سمعتُ البخاريَّ يَقُولُ لأبي معشر
الضَّرِير: اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ يَا أَبَا مِعْشَر؟
فَقَالَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ الْبُخَارِيُّ:
رَوَيْتُ حَدِيثًا يَوْمًا فَنَظَرْتُ إِلَيْكَ وَقَدْ
أَعْجَبْتَ بِهِ وَأَنْتَ تُحَرِّكُ رَأْسَكَ وَيَدَيْكَ،
فَتَبَسَّمْتُ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: أَنْتَ فِي حِلٍّ،
يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ.

قُلْتُ (أبو عمرو أحمد بن عطية
الوكيل - غفر الله له ولوالديه ولجميع

(١) راجع «هذي الساري» (ص ٤٨٠).

المسلمين -): أبو معشر هو حمدويه
ابن الخطّاب بن إبراهيم البخاريُّ
الضريّر. الحافظ الثقة. مستملي أبي
عبدالله البخاري. سمع محمد بن سلام
البيكندي وغيره. روى عنه: أبو بكر
محمد بن أحمد بن حامد السعداني
وأهل بخارى (١).

وفي طبقة أيضاً أبو معشر الضريّر
(آخر): هو الفضل بن أحمد بن يعقوب
ابن أشرس، الضبيّ النسفيّ. من أصحاب
البخاريّ أيضاً. روى عنه: عبدالمؤمن

(١) ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٧٤ رقم ٦٩٤)

محمد بن إسماعيل ٥٥

ابنُ خَلْفٍ وجماعة^(١). والله أعلم^(٢).

كان البخاريُّ مستجاب الدعوة

(٥٠) قال محمد بنُ أبي حاتم
الورَّاق: سمعتُ البخاريَّ يَقُول: دَعَوْتُ
رَبِّي مَرَّتَيْنِ فَاسْتَجَابَ لِي - يَعْنِي فِي
الْحَال - فَلَنْ أَحِبَّ أَنْ أَدْعُو بَعْدَ.

قلتُ: انظر إلى فضل الله عليه. ومع
ذلك لم يستكثر منه^(٣).

(٥١) قال محمد بنُ أبي حاتم الورَّاق:

(١) ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٧/ ١٢٢).

(٢) رَ: «هدي الساري» (ص ٤٨٠).

(٣) السابق.

سمعتُ البخاريَّ يَقُولُ: لا يكونُ لي
 خصمٌ في الآخرة. فقلتُ: إنَّ بعضَ
 النَّاسِ يَنقِمُونَ عليك التاريخ، يَقُولُونَ
 فِيهِ اغْتِيَابُ النَّاسِ! فقالَ: إِنَّمَا رَوَيْنَا ذَلِكَ
 رِوَايَةً، وَلَمْ نَقُلْهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا، وَقَدْ قَالَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بئسَ أَخُو
 الْعَشِيرَةِ (١).

عِفَّةُ لِسَانِ الْبُخَارِيِّ وَأَخْلَاقُهُ السَّامِيَّةِ

(٥٢) قال محمد بنُ أبي حاتم الوراق:
 سمعتُ البخاريَّ، يَقُولُ: ما اغتِيبْتُ أَحَدًا

(١) رَ: «هدي الساري» (ص ٤٨٠).

قَطُّ مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ الْغَيْبَةَ حَرَامٌ.
وَسَمِعَهُ بَكْرُ بْنُ مُنِيرٍ، يَقُولُ: إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَا يُحَاسِبُنِي أَنِّي
اغْتَبْتُ أَحَدًا.

قُلْتُ: لَمَّا صَانَ الْبُخَارِيُّ نَفْسَهُ عَنِ النَّمِيمَةِ،
وَلَمْ يَذْكُرْ غَائِبًا بَسِيًّا؛ ارْتَاحَ ضَمِيرُهُ، فَقَالَ
مَا قَالَ وَسَمِعَهُ مِنْهُ بَكْرُ بْنُ مُنِيرٍ^(١).

كَيْفَ كَانَ الْبُخَارِيُّ يَتَكَلَّمُ

فِي الرِّجَالِ

(٥٣) لِلْبُخَارِيِّ فِي كَلَامِهِ عَلَى
الرِّجَالِ تَوَقُّ شَدِيدٌ وَتَحَرُّ بَلِيغٌ وَحِرْصٌ

(١) رَ: «هَدْيُ السَّارِيِّ» (ص ٤٨٠).

زائد؛ يظهر لِمَنْ تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فإنَّ أكثرَ ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا.

وقلَّ أَنْ يَقُولَ: كَذَّابٌ، أَوْ وَضَّاعٌ؛ وَإِنَّمَا يَقُولُ: كَذَّبَهُ فُلَانٌ، رَمَاهُ فُلَانٌ - يعني: بِالْكَذِبِ -.

قلتُ: هكذا صان البخاريُّ كلامه، حتى أنه لم يقل في الكذاب - المشهور به - : كذاب؛ بل قال: كَذَّبَهُ فُلَانٌ. فنقل تكذيبه عن الناس تورُّعاً^(١).

(١) رَ: «هدي الساري» (ص ٤٨٠).

كيف كان حال البخاري وهو في صلاته

(٥٤) قال بكر بن مُنير: كان محمد ابنُ إسماعيل ذاتَ يومٍ يُصَلِّي، فَلَسَعَهُ الزُّنْبُورُ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً؛ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ، قال: انظُرُوا أَيَّ شَيْءٍ هذا الذي أَذَانِي فِي صَلَاتِي. فنظروا، فإذا الزُّنْبُورُ قد لَسَعَهُ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا، ولم يقطع صَلَاتَهُ!!

وفي رواية محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: قال لَمَّا سُئِلَ البخاريُّ لماذا

لم تخرج من الصلاة؟ قال: كنتُ في آيةٍ فأُحِبَّتْ أَنْ أُتِمَّهَا.

قلتُ: انظر يتحمل الأذى وهو أيسر عنده من أَنْ يقطع لذة القراءة ^(١).

**مع صغرسن البخاري كان يردُّ
على شيخه إنَّ أخطأ**

(٥٥) قال الفربريُّ: سمعتُ محمد

ابنَ أبي حاتم ورَّاق البخاريَّ، يقول:
سمعتُ البخاريَّ يقول: ألهمتُ حفظَ
الحديث وأنا في الكتاب. قلتُ: وكم أتى
عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل.

(١) رَ: «هدي الساري» (ص ٤٨٠-٤٨١).

وسمعه يقول: خرجت من الكتاب
فجعلت أختلف إلى الدّاخليّ وغيره،
فقال يوماً فيما كان يقرأ للنّاس: (سفيان
عن أبي الزُّبير عن إبراهيم)!.!

فقلتُ: إنّ أبا الزُّبير لم يرو عن إبراهيم.
فانتهرني. فقلتُ له: ارجع إلى الأصل إنّ
كان عندك، فدخل فنظر فيه، ثمّ رجّع،
فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلتُ: هو الزُّبير
-وهو ابنُ عدي- عن إبراهيم؛ فأخذ
القلم وأصلح كتابه، وقال لي: صدقت.
قال فقال له إنسان: ابنُ كم حين ردّدت
عليه؟ فقال: ابنُ إحدى عشرة سنة.

قلتُ: انظر كيف عِلِمَ البخاريُّ في هذه السنِّ المُبكرة الخطأ في الإسناد الذي ذكره شيخُه عليهم وهو معهم في المجلس، وأنَّ أبا الزبير - يعني: محمد ابنُ مسلم بنِ تَدْرُس - وهو مَكِّيٌّ، لا تَجِيءُ له الرواية عن إبراهيم - يعني: ابنُ يزيد النَّخَعِيٍّ - وهو كُوفِيٌّ؛ ولأنَّه ليس في المعتاد أن يروي المكيُّ عن الكوفيِّ، فرجع بذاكرته وبحث مَنْ مِنْ الكوفيين الذي يروي عن إبراهيم النَّخَعِيٍّ الكوفيِّ، وفي اسمه كلمة (الزُّبَيْر)؟ فوجد أنه (الزُّبَيْر بن عدي)، وكان اختلط على

محمد بن إسماعيل ٦٣

شيخه (الزُّبَيْر بن عَدِي) بـ (أبي الزُّبَيْر) (١).

انظر إلى فهم البخاري ودرايته بأسماء الرجال وكنائهم

(٥٦) قال محمد بن أبي حاتم: قال البخاري: كنتُ في مَجْلِسِ الْفُرْيَابِيِّ - يعني: محمد بن يُوْسُف، وهو من كبار شيوخه -، فقال: (حدثنا سفيان - يعني: الثوري -، عن أبي عُروَةَ، عن أبي الْخَطَّاب، عن أبي حَمْزَةَ). فلم يعرف أحدٌ في المَجْلِس من فوق سفيان الثوري.

(١) رَ: «هدي الساري» (ص ٤٧٨).

فقال البخاريُّ لهم: أَبُو عُرْوَةَ هو:
مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، وَأَبُو الْخَطَّابِ هو: قَتَادَةُ
ابْنُ دَعَامَةَ، وَأَبُو حَمْزَةَ هو: أَنَسُ بْنُ
مَالِكٍ؛ قال: وكان الثوريُّ فعولاً لذلك
يُكْنِي المَشْهُورِينَ.

قلتُ أَبُو عَمْرٍو - غفر الله له -: انظر
كيف عِلِمَ البخاريُّ أسماءَ الرُّوَاةِ الذين
وردُّوا في الإسناد بالكُنيَّةِ؟

نظرَ البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ في طبقة شيوخ
سفيان الثوري، ثم سأل نفسه: مَنْ في
شيوخ سفيان الثوري وكنيته أَبُو عُرْوَةَ؟
فلما لم يجد، بحث: مَنْ في أقران

سفيان وكنيته أبو عروة؟ فوجده:
 معمر بن راشد. فبحث مَنْ في شيوخ
 معمر بن راشد وكنيته أبو الخطاب .
 فوجده: قتادة. ومعروفٌ أنَّ قتادة يروي،
 عن أنس بن مالك رضي الله عنه وكنيته أبو حمزة.
 فلما رآه مستقرًّا عنده أذاع به، وقاله على
 الملاء في المجلس رحمته الله ^(١).

البخاري لم يكن ليستخدم

سلطته عند الوالي

ليحصل على حقه الذي اغتصبه بعضُ

التجار:

(١) ر: «هدي الساري» (ص ٤٧٨).

(٥٧) حكى ورَّاهُ أَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ
مَالًا جَلِيلًا، وَكَانَ يُعْطِيهِ مُضَارَبَةً؛ فَقَطَعَ
لَهُ غَرِيمٌ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ أَلْفًا، فَقَالُوا
لَهُ: اسْتَعِنْ بِكِتَابٍ إِلَى الْوَالِي. فَقَالَ: إِنْ
أَخَذْتُ مِنْهُمْ كِتَابًا طَمَعُوا، وَلَنْ أُبَيَعَ دِينِي
بَدْنِيَايَ؛ ثُمَّ صَالَحَ غَرِيمَهُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ
كُلَّ شَهْرٍ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، وَذَهَبَ ذَلِكَ
الْمَالُ كُلُّهُ^(١).

(١) رَ: «هدي الساري» (ص ٤٧٩)، «تغليق التعليق»
(٣٩٤ / ٥).

ولم يباشر البخاريُّ البيع والشراء بنفسه قط

(٥٨) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَرَأَى
الْبُخَارِيَّ: وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ
الْبُخَارِيَّ، يَقُولُ: مَا تَوَلَّيْتُ شِرَاءَ شَيْءٍ
قَطًّا، وَلَا بَيْعَهُ؛ كُنْتُ أَمْرُ إِنْسَانًا فَيَشْتَرِي
لِي مَا أُرِيدُ.

قِيلَ لَهُ: وَلَمْ؟ قَالَ: لِمَا فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ
وَالنُّقْصَانِ وَالتَّخْلِيطِ ^(١).

(١) رَوَاهُ «هَدْيُ السَّارِي» (ص ٤٧٩).

شهادة السَّفيرِ للبخاري بالولاية

(٥٩) وقال السَّفيرُ محمد بنُ عُمَر المتوفى سنة ٩٥٦ هـ في «شرحہ علی صحیح البخاری المسمی: المجالسُ الوعظیَّة فی شرح أحادیثِ خیر البریَّة» (١): طلبه العلم مع سعة هذا المال، نقل محمد ابنُ أبي حاتم وراقُ البخاري، عن البخاري، أنه قال: ما أَشتریتُ مِنْ حَینِ وُلِدْتُ مِنْ أَحَدٍ بدرهم، ولا بَعْتُ أَحَدًا شیئًا؛ فَسُئِلَ

(١) (ج ١ / ص ٥٣).

عن الورق الذي يكتب فيه والحبر؟ فقال:
كنت أُوَكِّلُ إنساناً يشتري لي.

فقال السَّفِيرِيُّ معقباً على ذلك: فكيف
لا يكونُ وَلِيًّا.

قال أبو عمرو وأحمد بن عطية الوكيل
- غفر الله له ولوالديه ولمشايعه ولجميع
المسلمين - : هو يعني أَنَّ الوليَّ لا يُعَرِّضُ
نفسَهُ لشيءٍ مِنَ التخليط الحاصل في
الأسواق عند مناقشة الأسعار؛ فهو لهذا
ولغيره، يأتيه رزقه من غير تعب ولا
تكلف. والله أعلم.

معاملت البخاري في التجارة

(٦٠) قال الحافظُ في «هدي الساري»:

قَالَ غُنْجَارٌ فِي «تَارِيخِهِ»: ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ الْمُقْرِيءِ: ثَنَا أَبُو سَعِيدٍ بَكْرُ بْنُ مُنِيرٍ، قَالَ: كَانَ حُمَيْلٌ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بَضَاعَةً مِنْ بَعْضِ عَمَّالِهِ، وَكَانَتِ الْبَضَاعَةُ مَطْلُوبَةً، فَاجْتَمَعَ بَعْضُ التُّجَّارِ إِلَيْهِ بِالْعَشِيَّةِ، وَطَلَبُوهَا مِنْهُ بِرَبْحِ خَمْسَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجارٌ آخرون، فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف

دَرَّهَمَ، فَرَدَّهَمَ، وَقَالَ: إِنِّي نَوَيْتُ الْبَارِحَةَ أَنْ أَدْفَعَهَا إِلَى الْأَوَّلِينَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: لَا أَحِبُّ أَنْ أَنْقُضَ نِيَّتِي.

قلتُ: انظر لم يرد البخاري أن يغير نيته ولو كانت له مصلحة في تغييرها^(١).

إنفاق البخاري من ماله على

طلبة العلم

(٦١) وفي إنفاق البخاري ماله على طلبة العلم وعلى الفقراء، قال السَّفِيرِيُّ محمد بن عُمَر المتوفى سنة ٩٥٦ هـ في

(١) رَ: «هدي الساري» (ص ٤٧٩-٤٨٠)، «تغليق

التعليق» (٣٩٥ / ٥)، «صفة الصفوة» (١٧٠ / ٤).

«شرحه على صحيح البخاري المسمى
بالمجالس الوعظية في شرح أحاديث
خير البرية»^(١):

نقل محمد بن أبي حاتم وراق
البخاري، عن البخاري، أنه قال: كنتُ
أستغلُّ كلَّ شهرٍ خمسمائة درهم، فأنفقها
في الطَّلَب، وما عند الله خيرٌ وأبقى.

ثم قال ابن أبي حاتم معقبًا على ذلك:
ومع كثرة هذا المال، كان يأتي عليه نهارٌ لا
يأكل فيه، وكان أحيانًا يأكل لوزتين أو ثلاثًا،

(١) (ج ١ / ص ٥٢).

وكان يتصدق بماله على الفقراء^(١).

لماذا ألف البخاري كتابه

الصحيح

(٦٢) لِمَا رَأَى الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّصَانِيفَ
الَّتِي صَنَفَتْ قَبْلَهُ، فَوَجَدَهَا بِحَسَبِ
وَاضِعِهَا جَامِعَةً بَيْنَ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ
التَّصْحِيحِ وَالتَّحْسِينِ مِنَ الْحَدِيثِ، بَلُّهُ
الكَثِيرُ مِنْهَا كَانَ يَشْمَلُهُ التَّضْعِيفُ، فَحَرَّكَ
هَمَّتَهُ لِتَصْنِيفِ كِتَابٍ يَجْمَعُ فِيهِ الْحَدِيثَ
الصَّحِيحَ وَيَقْتَصِرُ عَلَيْهِ. وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

(١) رَ: «هدي الساري» (ص ٤٨٠)، «تغليق التعليق»

ابن مَعْقِل النَّسْفِيُّ: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، يقول: كنا عند إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه، فقال: لو جمعت كتابًا مُختصرًا للصحيح سُنة رسول الله ﷺ! قال البخاري: فوقَ ذلك في قلبي، فأخذتُ في جَمْعِ الجامع الصحيح.

(٦٣) قال محمد بن سليمان بن فارس: سمعتُ البخاري، يقول: رأيتُ النبي ﷺ، وكأَنِّي واقِفٌ بين يديه، وبِيدِي مروحةٌ أذبُ بها عنه ﷺ، فسألتُ بعضَ المُعَبِّرِينَ، فقال لي: أنتَ تذبُّ عنه ﷺ

الكَذِبَ ؛ فهو الذي حَمَلَنِي عَلَى إِخْرَاجِ
الْجَامِعِ الصَّحِيحِ ^(١).

قَالُوا فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ

(٦٤) الْجَامِعُ الصَّحِيحُ هُوَ أَصَحُّ
كِتَابٍ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الْوَصْفُ
الَّذِي أَطْلَقْتَهُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى كِتَابِ
الْبَخَارِيِّ وَنَعْتَتْهُ بِهِ مِنْذُ أَلْفٍ إِلَى الْآنَ ^(٢).

(٦٥) اسْمُ الْكِتَابِ : قَدْ اشْتَهَرَ كِتَابُ
الْبَخَارِيِّ بِاسْمِ (صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ) عِنْدَ

(١) رَ : «هَدْيِ السَّارِي» (ص ٨).

(٢) رَ : «مَقْدَمَةُ التَّوْضِيحِ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ»
(٤٦/١).

عامة الناس، وقد يذكر مختصراً في بعض الكتب باسم (الجامع الصحيح)، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في هذِي السَّاري اسمَ الكتاب هكذا (الجامعُ الصَّحِيحُ المُسْنَدُ المُختَصَرُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَنِهِ وَأَيَّامِهِ) ^(١).

(٦٦) قال الإمام النَّسائي رحمه الله تعالى: ما في هذه الكتب أجودُ من كتاب البخاري.

(٦٧) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: اتفق العلماءُ على أنَّ أصحَّ

الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ: صحيح البخاري
ومسلم، واتفق الجمهورُ على أنَّ صحيح
البخاريَّ أصحُّهما صحيحًا وأكثرُهُما
فائدةً.

(٦٨) وقد انتقد الدارقطني رحمه الله بعض أحاديث (الجامع الصحيح)، فقال ابنُ الصلاح في كتابه (صيانة صحيح مسلم) أن استدراك الحافظ الدارقطني على (الصحيحين: البخاري ومسلم) غير مُخرجٍ لمُتون الأحاديث من حيز الصَّحَّة.

(٦٩) قال التاج السُّبْكِيُّ: كتاب
(الجامع الصحيح) أَجَلُ كُتُبِ الْإِسْلَامِ
وَأَفْضَلُهَا بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا عِبْرَةَ
بِمَنْ يُرَجَّحُ عَلَيْهِ (صحيح مسلم) فَإِنَّ
مَقَالَتَهُ هَذِهِ شَاذَةٌ، وَلَا يُعَوَّلُ عَلَيْهَا ^(١).

(٧٠) قال الحافظ المزيُّ رحمه الله:
وَأَمَّا السُّنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَفَقَّ لَهَا حُفَازًا
عَارِفِينَ، وَجَهَابِذَةً عَالِمِينَ، وَصَيَارِفَةً
نَاقِدِينَ، يَنْفُونَ عَنْهَا تَحْرِيفَ الْغَالِينَ
... إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِهَا

(١) رَ: «مقدمة الجامع الصحيح» طبعة: طوق النّجاة
(١/٢٣-٢٤).

تصنيفاً وأجودها تأليفاً وأكثرها صواباً
وأقلها خطأ وأعمها نفعاً وأغودها فائدةً
وأعظمها بركةً وأيسرها مؤونةً وأحسنها
قبولاً عند الموافق والمُخالف، وأجلها
موقعاً عند الخاصة والعامة: صحيح أبي
عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري^(١).

(٧١) قال الحافظ ابن حجر: كتابُ
(الجامع الصحيح) تأليف الإمام الأَوْحد،
عُمدة الحُفَاطِ، تاج الفقهاء، أبي
عبدالله البخاريّ قد اختصَّ بالمرتبة
العُليا، ووصف بأنه لا يوجد كتابٌ بعدَ

(١) ر: المصدر السابق.

كتاب الله تعالى مُصَنَّفٌ أَصَحُّ مِنْهُ فِي
الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ جَمْعِ
الأَصَحِّ وَالصَّحِيحِ، وَمَا قُرِنَ بِأَبْوَابِهِ مِنَ
الفقه النافع الشاهد لمؤلفه بالترجيح (١).

(٧٢) قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ يُونُسَ التُّجَيْبِيُّ
رَحِمَهُ اللَّهُ: كِتَابُ (الْجَامِعِ الصَّحِيحِ) أَحَدُ
كُتُبِ الْإِسْلَامِ الْمَعْتَمَدَةِ، وَهُوَ أَصَحُّهَا
وَأَكْثَرُهَا فَوَائِدَ، وَأَعْظَمُهَا نَفْعًا، وَأَشْهَرُهَا
بَرَكَاتًا؛ فَقَدْ صَحَّ وَثَبَتَ أَنَّهُ إِذَا قُرِئَ لَشِدَّةِ
رَجَاءٍ تَفْرِيجُهَا يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،

ورأيت أهل العلم والخير يقصدون ذلك
بقراءته عند الشدائد شرقاً وغرباً^(١).

(٧٣) قال الحافظ الذهبي رحمه الله:

لو رَحَلَ الرجل من مَسِيرَةِ سَنَةٍ لَسَمَاعِ
(صحيح البخاري) لَمَا فَرَّطَ. وهو أعلى
الكتب الستة سنداً إلى النبي ﷺ في شيء
كثيرٍ من الأحاديث، وذلك لأنَّ أبا عبد الله
البخاريَّ أَسَنُ الجماعةِ وأَقْدَمُهُمْ لُقِيًّا
للكبار، أخذَ عن جماعةٍ يروي الأئمةُ
الخمسَةُ عن رَجُلٍ عنهم^(٢).

(١) ر: المصدر السابق.

(٢) ر: المصدر السابق.

(٧٤) لما قال البخاري (صنفت «الصحيح» في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى): علق الذهبي بقوله: جزاه الله عن الإسلام خيراً، نعم ما أدّخر لمعاده^(١).

(٧٥) قال أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حمّاد العقيلي رحمه الله: لما ألف البخاري كتابه (الجامع الصحيح) عرضه على أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين وعلي بن المديني وغيرهم،

(١) ر: «جزء في ترجمة البخاري للذهبي» (ص ٤١ - ت: إبراهيم الهاشمي الأمير).

فاستحسنوه، وشهدوا له بالصّحة إلا في أربعة أحاديث، قال العقيليُّ: والقول فيها قولُ البخاريّ، وهي صحيحة^(١).

(٧٦) قال ابنُ أبي جمرة في اختصاره للبخاريّ: قَالَ لِي مَنْ لَقِيْتُهُ مِنَ الْعَارِفِينَ عَمَّنْ لَقِيَ مِنَ السَّادَةِ الْمُقَرَّرْ لَهُم بِالْفَضْلِ إِنَّ (صحيح البخاريّ) مَا قُرِيَ فِي شِدَّةٍ إِلَّا فُرِّجَتْ، وَلَا رُكِبَ بِهِ فِي مَرَكَبٍ فَغَرِقَ^(٢).

(١) رَ: «هدي الساري» (ص ٩).

(٢) رَ: «مقدمة الجامع الصحيح» طبعة: طوق النّجاة (١/٢٣-٢٤).

فتنة البخاري في نيسابور

بسبب محمد بن يحيى الذهلي:

(٧٧) دخل البخاري نيسابور في سنة

خمسین ومئتين من الهجرة، ورأيت
- فيما تقدم - كيف كان استقبال الناس

له في حفاوة، واحتفال شعبي هائل، حتى
قال عمدة نيسابور وإمامها في الحديث
محمد بن يحيى الذهلي: اذهبوا إلى

الرجل الصالح العالم محمد بن إسماعيل
فاسمعوا منه. وفي رواية أخرى قال: من
أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غداً

فليستقبله فإني أستقبله؛ وحرص الذهليُّ
ألا يقع بينه وبين البخاري ما ينغص
الود بينهما حال وجوده في نيسابور،
فقال لعلماء نيسابور: لا تسألوه عن
شيء من الكلام فإنه إن أجاب بخلاف
ما نحن عليه وقع بيننا وبينه وشمت بنا
كل ناصبيٍّ ورافضيٍّ وجهميٍّ ومُرْجِيٍّ
بخراسان.

فازدحم الناس على مجلس البخاريِّ
في نيسابور، حتى امتلأت الدار والسطوح،
وازدادوا عليه يومًا بعد يوم؛ وقد كانوا

يزدادون بقدر ما كانوا يتناقصون من مجلس الذُّهلي؛ فما تمَّ الشهرُ حتى حسده الدهليُّ وغار منه، ووجد عليه في نفسه.

وأيضا كان قد سُئِلَ البخاريُّ عن خلق القرآن، فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولفظي بالقرآن مخلوق، وأفعالُ العباد مخلوقة؛ وفي رواية مسلم تحديداً، قال: أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا؛ وفي رواية ابن عدي تحديداً، قال: القرآن كلام الله غير مخلوق،

وأفعالُ العبادِ مخلوقة، والامتحانُ بدعة.
واستدلَّ البخاريُّ على ذلك بحديث
حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتُهُ.

فاتخذها الذُّهليُّ ذريعةً، لِيُشَغِّبَ على
البخاريِّ، فقال: القرآنُ كلامُ الله غيرُ
مخلوق، وَمَنْ قال القرآنُ كلامُ الله مخلوق
فقد كفر، وَمَنْ قال لفظي بالقرآن مخلوق
فهو مبتدع، لا يُجَالَسُ ولا يُكَلَّمُ.

ودعا الذُّهليُّ عُلَمَاءَ نيسابور
لمقاطعته، فقال: أَلَا مَنْ يَخْتَلِفُ إِلَى

مجلس البخاري فلا يأتينا، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد، أنه تكلم في اللفظ، ونهيناه فلم ينته فلا تقربوه. وقال مرة: لا يُساكنني هذا الرجل في البلد.

ولما كان الذُّهليُّ ذا جاهٍ عريضٍ، وصاحبَ سُلطانٍ قويٍّ على أهل العلم في نيسابور؛ بدأ الناسُ يمثلون له، وانقطعوا عن البخاري. إلا مسلم بنُ الحجاج وأحمد بنُ سلمة، وكانا من تلاميذ الذُّهليِّ.

وقد قال الذُّهليُّ يوماً بمحضرٍ منهما: ألا مَنْ قال باللفظ فلا يحلُّ له أن يحضرَ

مَجْلِسَنَا. فَأَخَذَ مُسْلِمٌ رِدَاءَهُ فَوْقَ عِمَامَتِهِ
وَقَامَ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ، وَبَعَثَ إِلَى
الذَّهْلِيِّ جَمِيعَ مَا كَانَ قَدْ كَتَبَهُ عَنْهُ عَلَى
ظَهْرِ جِمَالٍ، وَلَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ الْبَتَّةَ.

أَمَّا أَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ، فَقَدْ قَالَ: دَخَلْتُ
عَلَى الْبُخَارِيِّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! إِنَّ
هَذَا رَجُلٌ مَقْبُولٌ بِخُرَاسَانَ، خُصُوصًا
فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ لَجَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ،
حَتَّى لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَكَلِّمَهُ فِيهِ، فَمَا
تَرَى؟ قَالَ: فَقَبِضُ الْبُخَارِيَّ عَلَى لِحْيَتِهِ،
ثُمَّ قَالَ: وَأَفَوِّضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُرِدْ

المُقَامَ بنيسابور أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا طَلَبًا
 للرياسة، وَإِنَّمَا أَبْتُ عَلَيَّ نَفْسِي الرَّجُوعَ
 إِلَى الْوِطْنِ لِغَلْبَةِ الْمُخَالِفِينَ، وَقَدْ قَصَدَنِي
 هَذَا الرَّجُلُ - يَعْنِي: الذَّهْلِيُّ - حَسَدًا لِمَا
 آتَانِي اللَّهُ لَا غَيْرَ؛ ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَحْمَدُ! إِنِّي
 خَارِجٌ غَدًا، لَتَخْلُصُوا مِنِّ حَدِيثِهِ لِأَجْلِي.
 قُلْتُ - أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بْنُ عَطِيَّةَ
 الْوَكِيلِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ
 وَالْمُسْلِمِينَ -:

هكذا أبى البخاريُّ أَنْ يَذُلَّ نَفْسَهُ، وَأَنْ
 يَجْلِسَ فِي بَلَدٍ فِيهَا مَنْ يَكْرَهُ وَجُودَهُ مِنْ

أهل العلم، وقد كان بإمكانه أن يبقى،
ويكون له أتباعه، وهم ليسوا بالقليل،
الذين يؤازرونه في رأيه، وإن كان
صحيحًا؛ إلا أنه اختار الخروج من هذه
البلدة درءًا للفتنة، ومنعًا للقليل والقال بين
الناس بسببه^(١).

فتنة البخاري في بخارى

(٧٨) بسبب واليها خالد بن أحمد

(١) وانظر: «سير الأعلام» (١٢/٤٥٣-٤٦٣)،

«طبقات الشافعية» (٢/٢٢٨-٢٣١)،

«هدي الساري» (ص ٤٩٠)، «تغليق التعليق»

(٥/٤٣٢).

خليفة بن طاهر:

لَمَّا رَجَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ إِلَى
بُخَارَى وَاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُهَا - كَمَا تَقْدُم - عَلَى
فَرَسَخٍ مِنْهَا وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا، بِالْدَنَانِيرِ،
وَالدِّرَاهِمِ، وَالسُّكَّرِ الْكَثِيرِ؛ فَمَا بَقِيَ عَلَى
ذَلِكَ إِلَّا أَيَّامًا، حَتَّى بَعَثَ الْأَمِيرُ خَالِدُ
ابْنُ أَحْمَدَ الذَّهْلِيُّ وَالْيَ بَخَارَى إِلَيْهِ، أَنْ
أَحْمِلَ إِلَيَّ كِتَابَكَ: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ)،
و(التَّارِيخُ)، وَغَيْرَهُمَا لِأَسْمَعَ مِنْكَ
- وَفِي رِوَايَةٍ لَتَقْرَأَهُمْ عَلَى أَوْلَادِي -،
فَقَالَ الْبُخَارِيُّ لِرَسُولِهِ: أَنَا لَا أَذِلُّ الْعِلْمَ،

ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة، فاحضر في مَسْجِدِي، أو في دَارِي؛ وإن لم يعجبك هذا فإنك سلطانٌ، فامنعني من المجلس، ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة؛ لأنني لا أكتُمُ العِلْمَ، لقول النبي ﷺ: «مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ». فلما امتنع البخاريُّ عن الحضور عنده، راسلهُ الأميرُ مرَّةً أخرى بأنَّ يعقدَ مجلسًا خاصًا لأولادِهِ، لا يحضرُهُ غيرُهُم، فامتنع أيضًا، وقال: لا أخصُّ أحدًا.

فكان هذا سببَ الوحشةِ بينهما.

فاستعان الأميرُ بِحُرَيْثِ بْنِ أَبِي الْوَرَقَاءِ
 -وكان من أكبر فقهاء الرأي ببخارى-
 وغيره، ليتكلموا في مذهب البخاري
 بالباطل، ويُسْغَبُوا عليه، ويقولون إنه
 يفسد عليهم المدينة، وقد أخرجهم محمد
 ابنُ يحيى الذُّهْلِيُّ من نيسابور وهو
 إمامهم في نيسابور؛ وفي نهاية الأمر نفاه
 الأميرُ عن البلد.

فدعا البخاريُّ عليهم، وقال: اللَّهُمَّ
 أَرِهِمْ مَا قَصَدُونِي بِهِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ
 وَأَهَالِيهِمْ.

استجابة دُعاء البخاري على خصومه

فاستجاب الله له؛ فأما خالد فلم يأت
إلا أقلُّ من شهرٍ حتى ورد أمر الطَّاهِرِيَّةِ،
بأن ينادى عليه في البلد، فنُودِيَ عليه وهو
على أتانٍ، وأُشْخِصَ على إِكَّافٍ، ثم
صار عاقبةُ أمرِهِ إلى الذُّلِّ والحبسِ.

وكانت لخالد بن أحمد - كما قال
الحاكم - آثارٌ محمودَةٌ، ببخارى،
إلا موجدتهُ على البخاريِّ، فكانت سبباً
في زوال مُلكِهِ.

وأما حريث بن أبي الوراق، فإنه ابتلي في أهله، فرأى فيها ما يجلب عن الوصف. وأما فلان فإنه ابتلي في أولاده فأراه الله فيهم البلى^(١).

(٧٩) لَمَّا أُخْرِجَ الْبُخَارِيُّ مِنْ بَلَدِهِ
بُخَارَى، بِسَبَبِ مُحَنَّتِهِ مَعَ الْأَمِيرِ خَالِدِ بْنِ
أَحْمَدَ خَلِيفَةَ بْنِ طَاهِرٍ، ذَهَبَ إِلَى بَيْكَنْدُ.
قَالَ الْحَاكِمُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ
ابْنَ وَاصِلِ الْبَيْكَنْدِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ

(١) وانظر: «سير الأعلام» (١٢/ ٤٦٣-٤٦٦)،
«طبقات الشافعية» (٢/ ٢٣١-٢٣٢)، «هدي
الساري» (ص ٤٩٣).

أبي، يقول: لقد مَنَّ اللهُ علينا بِخُرُوجِ
أبي عبدالله البخاري، وبِمُقَامِهِ عِنْدَنَا
فِي بَيْكَنْد، حَتَّى سَمِعْنَا مِنْهُ هَذِهِ الْكُتُبَ،
وإِلَّا مَنْ كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِ؛ وَبِمُقَامِهِ فِي هَذِهِ
النَّوَاحِي: فَرَبْرُ وَبَيْكَنْد، بَقِيَتْ هَذِهِ الْآثَارُ
فِيهَا، وَتَخَرَّجَ النَّاسُ بِهِ ^(١).

قُلْتُ - أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بْنُ عَطِيَّةَ
الْوَكِيلُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ
وَالْمُسْلِمِينَ -:

إِنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ..
مِنَ الْمُحَنِّ تَأْتِي الْمُنْحَ ..

(١) وانظر: «سير الأعلام» (١٢ / ٤٦٥ - ٤٦٦).

لولا محنة البخاري في بخاري وأنه
أخرج منها إلى بيكند ..

لم يكن ليعرف أهل تلك البلاد - يعني
بيكند وفربر والبلاد القريبة منها - صحيح
البخاري ولا بقية كتبه ..

واليوم أشهر روايات الصحيح هي
رواية الفربري.

(٨٠) قال الفربريُّ، عن شيخه

البخاري - رحمهما الله تعالى - :

(أملى يوماً عليَّ حديثاً كثيراً، فخافَ

ملالي؛ فقال:

طَبُ نَفْسًا، فَإِنْ أَهْلُ الْمَلَاهِي فِي
مَلَاهِيهِمْ، وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ فِي صَنَاعَتِهِمْ،
وَالتَّجَارِ فِي تِجَارَاتِهِمْ، وَأَنْتَ يَا فَرَبْرِي مَعَ
النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ (١)

وَلَادَةُ الْبَخَارِيِّ

(٨١) كَانَتْ وَلَادَةُ الْبَخَارِيِّ فِي يَوْمِ
الْجُمُعَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، فِي شَهْرِ
شَوَّالٍ، سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ.
وَكَانَتْ صِفَةُ الْبَخَارِيِّ: أَنَّهُ كَانَ نَحِيفَ
الْجِسْمِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ،
وَحَقٌّ أَنْ يُنْشَدَ فِيهِ:

(١) رَ: «سير الأعلام» (١٢/٤٤٥).

تراه من الذكاءِ نحيفَ الجسمِ
عليه من توقُّدِهِ دليلُ
إذا كان الفتى ضخمَ المعالي
فليس يضيرُهُ الجَسَدُ الضَّئِيلُ^(١)

وفاة البخاري

(٨٢) وكانت وفاته رحمته الله ليلة السبت:
ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين
ومائتين، عن اثنين وستين سنةً إلا ثلاثة
عشرَ يوماً.

(١) وانظر: «سير الأعلام» (١٢/٤٦٦، ٤٦٧)،
«المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية»
(ج ١/ ص ٥٣-٥٤).

لَمَّا خَرَجَ الْبُخَارِيُّ مِنْ بُخَارَى، كَتَبَ
إِلَيْهِ أَهْلُ سَمَرْقَنْدٍ يَخْطُبُونَهُ لِبَلَدِهِمْ
- أَيْ: يَدْعُونَهُ إِلَيْهَا لِيُقِيمَ بِهَا وَيَخْطُبَ
فِيهِمْ -، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ وَسَارَ إِلَيْهِمْ،
فَلَمَّا كَانَ بِخَرْتَنَكْ - وَهِيَ: قَرْيَةٌ عَلَى بُعْدِ
فَرَسَاحِينَ مِنْ سَمَرْقَنْدٍ -، بَلَغَهُ أَنَّهُ وَقَعَ
فِتْنَةٌ بَيْنَ النَّاسِ فِي سَمَرْقَنْدٍ بِسَبَبِ مَجِيئِهِ
إِلَيْهِمْ، مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدٍ مَنْ يَرِيدُ دُخُولَهُ،
وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَرِيدُ دُخُولَهُ، فَاسْتَقَرَّ
الْبُخَارِيُّ بِخَرْتَنَكْ عِنْدَ بَعْضِ أَقْرَبَائِهِ بِهَا،
حَتَّى يَنْجَلِيَ الْأَمْرُ؛ فَمَرَضَ بِهَا وَمَاتَ.

قال ابنُ عَدِيٍّ - كما نقله عنه
 الحافظُ^(١)، ونقله مُلا عليّ القاري في
 «المِرقاة» من غير إسناد - : سمعتُ
 عبدَ القدوس بنَ عبد الجبار السمرقنديَّ،
 يقول: خرج البخاريُّ إلى خَرْتَنك، قرية
 من قرى سمرقند، وكان له بها أقرباء،
 فنزل عندهم، قال: فسمعتُه ليلةً من
 الليالي، وقد فرغَ من صلاةِ الليل يدعو،
 ويقول في دعائه: اللَّهُمَّ قَدْ ضَاقتُ عَلَيَّ
 الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ،

(١) في «التغليق».

فما تم الشهر حتى قبضه الله؛ وقبره في
خَرْتَنَك.

وقال الحافظ^(١) في سبب وفاته:

قال محمد بن أبي حاتم وراقُ
البخاري: سمعت أبا منصور غالب بن
جبريل، وهو الذي نزل عليه البخاريُّ
بخرتنك، يقول:

أقام البخاريُّ أيامًا فمرَضَ، واشتدَّ
به المرضُ، حتى وجَّه إليه رسولٌ
من سمرقند ليخرُجَ، فلمَّا وافى تهيأَ
للكوب، ولبسَ خُفَّيه وتعمَّم، فلمَّا

مشى قدر عشرين خطوةً أو نحوها، وأنا
أَخِذْتُ بِعَضُدِهِ، ورجلٌ آخرٌ معي يقوده إلى
الدَّابَّةِ ليركبها؛ فقال **رَحِمَهُ اللهُ** : أرسلوني فقد
ضَعُفْتُ، فدعا بدعواتٍ، ثم اضطجعَ،
فَقُبِضَ، فسأل منه عرقٌ كثيرٌ؛ وكان قد
أوصى أَنْ يُكَفَّنَ في ثلاثة أثوابٍ، ليس
فيها قميصٌ ولا عمامةٌ. قال: ففعلنا كما
أوصى؛ فلمَّا دَفَنَاهُ، فاحَ مِنْ تُرَابِ قَبْرِهِ
رائحةُ المسكِ تَفُوحٌ مِنْ قَبْرِ الْبُخَارِيِّ،
ودامت أيامًا، حتى جعل الناسُ يختلفون
إِلَى قَبْرِهِ أَيَّامًا، يأخذونَ مِنْ تُرَابِهِ إِلَى أَنْ
جعلنا عليه خشبًا مُشَبَّكًا. انتهى.

قال ابنُ السُّبُكِيِّ^(١): وَظَهَرَ عِنْدَ مُخَالَفِهِ
أَمْرُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَخَرَجَ بَعْضُ مُخَالَفِهِ
إِلَى قَبْرِهِ، وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ وَالنَّدَامَةَ.

قال محمدٌ - يعني: ابن أبي حاتم
الوراق -: ولم يعش غالبٌ - يعني: ابن
جبريل - بعد موت البخاري إلا القليل،
وُدْفِنَ إِلَى جَانِبِهِ. انتهى.

وفي تفسير هذه الرائحة: قال السَّفِيرِيُّ
محمد بنُ عُمَرَ المتوفى سنة ٩٥٦ هـ^(٢).

(١) في «طبقات الشافعية» (٢/ ٢٣٢).

(٢) في «شرحه على صحيح البخاري المسمّى
بالمجالس الوعظية

ولا يبعد أن تكون هذه الرائحة رائحة صيامه، الذي صامه في حياته، وأخفاه عن الناس، فأظهره الله لهم بعد موته، إظهاراً لفضله وعظيم منزلته عنده.

قال العلامة ابن رجب ^(١):

ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فكلما اجتهد صاحبه على إخفائه فاح ريحه؛ ثم قال: لما دُفِنَ عبدالله بن غالب، كان يفوح من ثراب قبره رائحة المسك؛ فرؤي في النوم فسئل

(١) في «اللطائف».

عن تلك الرائحة التي تُوجدُ من قبرهِ؟
فقال: تلك رائحةُ التَّلاوةِ والظَّمِّ.

وللهِ دَرٌّ مَنْ قال:

وَكاتِمُ الحُبِّ يَوْمَ البَيْنِ مُنْهَتِكُ

وَصاحِبُ الوَجْدِ لا تَخْفَى سَرَائِرُهُ^(١)



(١) وانظر: «سير الأعلام» (١٢/٤٦٦، ٤٦٧)
«طبقات الشافعية» (٢/٢٣٢-٢٣٤)، «هدي
السار» (ص ٤٩٣)، «تغليق التعليق»
(٥/٤٤٠-٤٤١)، «المجالس الوعظية في شرح
أحاديث خير البرية» (ج ١/ ص ٥٣-٥٤)، «مِرْقاة
المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/١٧).

الخاتمة

قلتُ -أبو عمرو أحمد بن عطيّة
الوكيل، غفر الله له ولوالديه ولمشاخه
والمسلمين-: والكلام عن سيرته وفضله
وأحواله وصحيحه يطول جدًّا وهذا
غِيْضٌ مِّنْ فَيْضٍ؛ فاللهم ارحم الإمام
محمد بن إسماعيل البخاري، واجزه عن
الإسلام والمسلمين خيرًا.

١١٠ ————— الإمام البخاري

- أَيُّ حَدِيثٍ لَا يَعْرِفُهُ الْبُخَارِيُّ فَلَيْسَ بِحَدِيثٍ ٢٤
- شُيُوخُ الْبُخَارِيِّ يَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ فِي الْحَدِيثِ ٢٥
- حُبُّ الْبُخَارِيِّ لِلدَّارِمِيِّ وَشَهَادَةُ الدَّارِمِيِّ لَهُ ٢٦
- شُيُوخُ الْبُخَارِيِّ يَهَابُونَهُ ٢٨
- قُدْرَةُ الْبُخَارِيِّ عَلَى الْحِفْظِ ٣٢
- الْبُخَارِيُّ وَهُوَ شَابٌ ٣٤
- حِفَاوَةٌ وَاحْتِفَالُ النَّاسِ بِالْبُخَارِيِّ ٣٧
- شَهَادَةُ الْعُلَمَاءِ لِلْبُخَارِيِّ بِالْفَقْهِ ٤٠
- شَهَادَةُ التِّرْمِذِيِّ لِلْبُخَارِيِّ ٤٣
- شَهَادَةُ الْعُلَمَاءِ لِلْبُخَارِيِّ بِالْفَقْهِ وَالْإِمَامَةِ ٤٤
- شَهَادَةُ الْعُلَمَاءِ لِلْبُخَارِيِّ بِالْتَّمِيزِ فِي الْفَقْهِ ٤٨
- مَهَارَةُ الْبُخَارِيِّ فِي الرَّمِيِّ ٥٠
- وَرَعُ الْبُخَارِيِّ ٥١
- كَانَ الْبُخَارِيُّ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ٥٥

محمد بن إسماعيل ١١١

- ٥٦ عَفَّةٌ لِسَانِ الْبَخَارِيِّ وَأَخْلَاقُهُ السَّامِيَّةُ
- ٥٧ كَيْفَ كَانَ الْبَخَارِيُّ يَتَكَلَّمُ فِي الرِّجَالِ
- ٥٩ كَيْفَ كَانَ حَالُ الْبَخَارِيِّ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ
- ٦٠ مَعَ صِغَرِ سِنِّ الْبَخَارِيِّ كَانَ يَرُدُّ عَلَى شَيْخِهِ
- ٦٣ فَهَمُ الْبَخَارِيِّ وَدِرَايَتُهُ بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَكُنَاهُمْ
- ٦٥ الْبَخَارِيُّ لَمْ يَكُنْ لِيَسْتَخْدِمَ سُلْطَنَهُ عِنْدَ الْوَالِيِّ
- ٦٧ وَلَمْ يَبَاشِرِ الْبَخَارِيُّ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ بِنَفْسِهِ قَطُّ
- ٦٨ شَهَادَةُ السَّفِيرِيِّ لِلْبَخَارِيِّ بِالْوِلَايَةِ
- ٧٠ مَعَامَلَةُ الْبَخَارِيِّ فِي التِّجَارَةِ
- ٧١ إِتْفَاقُ الْبَخَارِيِّ مِنْ مَالِهِ عَلَى طَلْبَةِ الْعِلْمِ
- ٧٣ لِمَاذَا أَلَّفَ الْبَخَارِيُّ كِتَابَهُ الصَّحِيحَ
- ٧٥ قَالُوا فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ
- ٨٤ فِتْنَةُ الْبَخَارِيِّ فِي نَيْسَابُورَ
- ٩١ فِتْنَةُ الْبَخَارِيِّ فِي بُخَارَى

الإمام البخاري ١١٢

- ٩٥ استجابة دعاء البخاري على خصومه
- ٩٩ ولادة البخاريّ
- ١٠٠ وفاة البخاريّ
- ١٠٨ الخاتمة
- ١٠٩ الفهرس

